**الأستاذ المسؤول عن المقياس : بن عيسى خيرة .**

**مقياس : مدارس فلسفية يونانية .**

**المستوى السنة الثانية : LMD s3**

**المحاضرة الثالثة : المدرسة الطبيعية .**

اتجه كل اهتمام الفلسفة قبل سقراط في عمومه نحو البحث عن المبدأ الأول و الوحيد الذي منه نشأ الكون ،حتى أصبحت تُنْعت بالفلسفة الطبيعية أو الكُسمولوجية[[1]](#footnote-2)\*،ولكن رغم ذلك سيكون لبعض المسائل الميتافيزيقية حظ منها ،وإن كان لا يتساوى مع الانشغال الهاجسي لها ، فإنه سيعتبر مبحثا من مباحثها،لأن السؤال عن المبدأ النهائي هو في الأصل سؤال ميتافيزيقي قبل أن يكون فيزيقيا،"ذلك أن أول الميتافيزيقيين في تاريخ الفلسفة هو طاليس لأنه أول من تساءل عن الأصل الذي صدرت عنه الأشياء جميعا،وكأنه بذلك طرح جانبا الظواهر المادية وما ندركه من أشياء حسية ليغوص تحتها بحثا عن مصدرها،فارتفع بذلك عن المشاهدة الحسية،وقال بنظرة تقوم على العقل أساسا،أن الكل واحد أو الأصل واحد" [[2]](#footnote-3)

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة الأولى من تاريخ الفلسفة والتي سبقتها قد مهدت لظهور الفلسفة في زمن سقراط ومن جاء من بعده،فكانت بمثابة الأرضية الخصبة وإن اكتنفتها بعض السطحية والسذاجة في بعض الأحيان،وهو ما يصرح به أرسطو في مقالة "الألفا الصغرى" من كتاب ما بعد الميتافيزيقا إذ يقول:"إن من الإنصاف أن نتقدم بالشكر والامتنان لا فقط لأولئك الدين يمكن أن نشاركهم آراءهم،بل أيضا أولئك الدين عبروا عن وجهات نظر سطحية ،لأن هؤلاء أيضا قد أسهموا بشيء ما في تطوير قوى الفكر...وقُل الشيء نفسه عن أولئك الدين عبروا عن وجهات نظر بصدد الحقيقة،فقد ورثنا آراء معينة عن مفكرين ممتازين،بينما كان الآخرون مسئولين عن ظهور هؤلاء المفكرين الممتازين"[[3]](#footnote-4)،وستكون البداية مع **المدرسة المالطية(الأيونية).**

**1/ المدرسة المالطية(الأيونية):**

**أ - "طاليس المالطي" thalès (643-550):**لم يترك لنا هذا الفيلسوف كتابا يشرح فيه مبادئ فلسفته كما فعل أفلاطون مثلا،بل بقيت لنا بعض الشذرات التي نجدها متناثرة في بعض الكتب الدارسة لتاريخ الفلسفة،ومرجعية فلسفية مهمة سنعتمد عليها في خلال كلامنا عن كل الفلسفة قبل سقراط وهي ما ورد عن أرسطو من تحليلات وتأريخ في بعض كتبه ،لكن حتى أرسطو لم يكن متيقنا مما يقوله عن "طاليس المالطي" ،لأنه كان كثيرا ما يستعمل عبارة: "إن صح ما يروى عنه"[[4]](#footnote-5).

أشهر ما عرف به هذا الفيلسوف؛أي طاليس المالطي هو بحثه حول المبدأ الأول الذي منه نشأ كل موجود،فقال أنه واحد من طبيعة مادية خالصة وهو "الماء"وفي شرح "أرسطو طاليس" لهذا الموقف يقول:"يقول:''إن هذا المبدأ هو الماء [وهو لهذا السبب يعلن أن الأرض تطفو فوق الماء]،وربما جاءت الفكرة من رأيته أن غذاء الأشياء جميعا لابد أن تكون رطبة وأن الحرارة نفسها تنشأ من الرطوبة ،وتبقى حية بواسطتها[أو أن ما صدرت عنه هو مبدأ كل شيء].وقد استمد فكرته من هذه الواقعة ،وأن بذور كل شيء ذات طبيعة رطبة ،وأن الماء هو أصل طبيعة الأشياء الرطبة"[[5]](#footnote-6).

أما آرائه حول النفس فيمكن أن نستنبطها من المقولة المشهورة التي تروى عنه و هي :"أنّ في المغناطيس نفسا هي التي تجذب الحديد إليه"،لعله التفسير الوحيد الذي وجده "طاليس" لتعليل ظاهرة الجذب؛أي الحركة،فاعتبر بذلك وجود شيء خفي هو الذي يجذب الأشياء إليه ، ومن ثم فإن في كل شيء توجد نفس، فأرسطو يقول :"و يبدو أيضا أن "طاليس" فيما يرون عنه ،ذهب إلى أن النفس قوة محركة و إن صح ما يرون عنه من أنه زعم بأن في حجر المغناطيس نفسا لأنه يجذب الحديد"[[6]](#footnote-7)، فهذه المقولة تؤكد فكرتين أساسيتين الأولى هي أن في كل الأشياء المتحركة توجد نفس و الثانية هي أن هذه النفس هي مبدأ الحركة ،أو هي التي تحرك الأجسام،فهي التي تمنح الحياة لها؛أي للمادة لذلك أُعتبر "طاليس" من أصحاب النـزعة " المادية الحية "[[7]](#footnote-8)\*.

و إذا رجعنا إلى تفسيره للمبدأ الأول الذي منه نشأ الكون ،فإنه قال بأن أصل الأشياء كلها هو الماء و هذا الأخير هو الذي منه نشأ الإنسان و الحيوان و النبات،وكل الأشياء الموجودة في الكون ،ووفق هذا الرأي تكون النفس هي مانحة الحياة لهذه المادة ، فالماء حسب "طاليس"حامل لقوة حيوية داخلية فيه تَـنْبَثُ في جميع أنواع المادة ،فتكون بذلك هي الأخرى حية،و يتضح هذا المعنى الأخير أكثر من خلال مقولة "طاليس"التي أوردها "أرسطو" و هي كما يلي :" كل شيء مملوء بالآلهة"[[8]](#footnote-9)و يفسرها بأن النفس ممتزجة بالعالم كله، أي أن العالم مملوء بالأنفس،وهي تنتشر داخل المادة فتحدث الحركة ، و إذا كان هذا التفسير الذي قدمه أو بالأحرى رجحه "أرسطو" في أن الآلهة في مقولة "طاليس" تعني الأنفس، فهل هذه الأخيرة هي كذلك؟.

لا يقدم "طاليس" أي إجابة مفصلة حول هذه المسألة ،وحتى المقولات التي يوردها أرسطو هي على سبيل الترجيح ،لذلك سنكتفي بهذا القدر في هذه المسألة و سنتوجه إلى شخصية فلسفية أخرى مهمة في هذه المرحلة من المدرسة نفسها،و هي الفيلسوف "أنكسماندريس":

**ب -أنكسماندريس Anaximandre(627-546 ق.م):**

كانت لهذا الفيلسوف أهمية واسعة من نواحي متعددة ،من حيث إدخاله لمفاهيم جديدة كالأبرون (Apeiron)،أو اللانهائي وتفسيره لعملية تحول المادة و اتجاه تفكيره نحو التجريد،إضافة إلى أنه ترك لنا كتابا كان عنوانه**(في الطبيعة)** تجاوز من خلاله الطريقة الشعرية التي اعتاد اليونانيون عليها "فهو باختياره الكتابة نثرا أنجز القطيعة مع الأسلوب الشعري للقصائد القديمة و دشن النوع الأدبي الجديد الخاص بالتاريخ الطبيعي ،وأخيرا كان هو الذي عبر بكثير من الدقة عن الصور الكونية الجديدة التي ستطبع بصورة عميقة ودائمة التصور اليوناني للكون"[[9]](#footnote-10).

**\*نظرية أنكسماندريس في أصل الكون:**اتفق هذا الفيلسوف مع أستاذه "طاليس"في أن مبدأ الأشياء كلها مادي واحد ،لكنه اختف معه في طبيعته،إذ يعتقد أن الماء لا يمكن أن يكون مبدأ لكل الموجودات لأنه يتأثر بالحرارة والبرودة،إذ بالأولى يتحول من جامد إلى سائل وبالثانية يفقد سيولته،وهو بذلك لا يمكن أن يكون مبدأ لأنه يتغير ويتحول بفعل عناصر أخرى،لذلك اتجه إلى القول بأن هذا المبدأ يجب أن يكون غير معين وغير محدد،وهو يمثل مادة أولى غير حاملة لأي خاصية من خصائص الموجودات،وهي غير معروفة لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف،فلقد"اعتقد أنكسماندريس أن هذه المادة تمتد إلى ما نهاية في المكان،والسبب الذي طرحه لقوله بهذا الرأي هو أنه لو كان للمادة قدر محدد لكانت قد استنفذت منذ فترة طويلة"[[10]](#footnote-11)،ولم يكتفي هذا الفيلسوف بذلك بل حاول تفسير عملية تحول المادة اللامتعينة وتشكل الموجودات،وجاء رأيه على النحو التالي:إن هذه المادة (Apeiron) هي"مزيج من الأضداد جميعا كالحار والبارد واليابس والرطب وغيرها،إلا أن هذه الأضداد كانت في البدء مختلطة متعادلة غير موجودة بالفعل من حيث هي كذلك ،ثم انفصلت بحركة المادة ومازالت الحركة تفصل بعضها عن بعض وتجمع بعضها مع بعض بمقادير متفاوتة حتى تألفت بهذا الاجتماع والانفصال الأجسام الطبيعية على اختلافها،وأول ما انفصل(الحار والبارد) فتصاعد البخار بفعل الحار وكان من هذا البخار الهواء،أما الراسب فيبس بالتدرج فكان منه البحر ثم الأرض وتكون الحار كرة نارية حول الهواء كما تتكون القشرة حول الشجرة وتمزقت هذه الكرة النارية وتناثرت أجزاؤها ودخلت أسطوانات هوائية هي الكواكب تشتعل فيها النار وتبدو لنا من فوهاتها ،فكل ما نراه من وجوه القمر وكسوف وخسوف ناشئ إما من انسداد الفوهات انسدادا كليا أو جزئيا وإما مما للاسطوانات من حركة تجعل الفوهات تبدو حينا وتغيب حينا آخر،والأرض جسم أسطواني كذالك بنسبة ارتفاعه إلى عرضه كنسبة 3:1 ،ونحن نشغل قسمها الأعلى وهو منتفخ قليلا وليست تقوم على شيء بخلاف ما ارتأى طاليس ...فالأرض معلقة في وسط السماء ثابتة في مكانها لأنها واقعة على مسافة واحدة من الأجرام السماوية،فليس هناك ما يجعلها تتحرك إلى جهة دون الأخرى ،ولأن النسبة المذكورة بين ارتفاعها وعرضا تكفل لها الاستقرار بذاتها"[[11]](#footnote-12).

تشمل هذه الفقرة وإن كانت طويلة نوعا ما على شرح لجوانب نظرية أنكسماندريس في الكون،وتوجد شروحات أخرى مثلا ما يورده "ولتر ستيس" في كتابه "تاريخ الفلسفة اليونانية،وكذلك "جون بيار فرنان" في كتابه أصول الفكر اليوناني ،وكلها وإن كانت مختلفة في بعض التفاصيل فإنها تشير إلى المعالم العامة لهذه النظرية التي يمكن تلخيصها فيما يلي:إن الماد الأولى هي مبدأ الأشياء جميعا غير معروفة الخصائص وغر محدودة إذ ليس لها منشأ وغير زائلة،وهي ليست الماء ولا الهواء ولا أي نوع آخر من المادة،بل هي النوع الأول لكل أنواع المادة في أنها اختلاط لمجموعة من الأضداد المتساوية والمتناسبة فيما بينها ،وهي موجودة بالقوة أي غير متعينة وغير منفصلة عن بعضها البعض،أما عملية التحول والتغير فإن أنكسماندريس لم يوضحها ولم يبينها أو كما يقول "ولتر ستيس" فسرها"عن طريق عملية متطورة غامضة"[[12]](#footnote-13)،وهو يرى؛أي أنكسمانديس أن الحار والبارد هما أول من انفصل وهما بذلك سيمثلان العاملان الأساسيان في بداية الحركة في المادة ومن ثمة نشوء الأجسام الطبيعية .

**\*نظرية أنكسماندريس في نشوء العوالم:**بما أن المادة الأولى لا تنفذ فإن العوالم في استمرار إلى الأبد،إذ يرى أنه ينشأ عالم و ينتهي ثم يبدأ عالم آخر وينتهي وهكذا إلى الأبد دون أن يؤثر ذلك على الأبرون،لأنه في حالة حركة دائمة،ويوجد اختلاف بين الدارسين فيما إذا كان أنكسماندريس قال بأنه كان هناك عالم وانتهى ثم ولد عالم أخر وهكذا،أم أنه توجد عوالم متعددة تنشأ ثم تنتهي وتبدأ عوالم أخرى،لكن المهم في هذه النظرية هي أن هذا الفيلسوف أقر بالتغير الدائم للمادة أو بمبدأ الحركة الذي هو مبدأ أساسي في تكون الأجسام الطبيعية،وأن مبدأ الأشياء لابد أن يكون مختلفا عن عناصر الموجودات.

**\*نظرية أنكسماندريس في نشوء الكائنات:**هي نظرية يفسر من خلالها كيف نشأت الكائنات الحية وتطورت وكيف نشأ الإنسان بالتحديد،هذا الأخير الذي كان في البداية حسب اعتقاده على شكل سمكة لأن الأرض كانت في البدء رطبة وبفعل الحرارة ظهرت أماكن جافة تكيف معها الإنسان وتكونت له أطراف ،فالحياة"تكونت في البيئة الرطبة وكانت جميع الأحياء في البداية أشبه بالأسماك ذات الغلاف السميك،وكذلك تطور الإنسان عن نوع من الأسماك أو احتضنته الأسماك حتى أمكنه الحياة على سطح الأرض الجافة "[[13]](#footnote-14).

**ج - "أنكسمانس"Anaximène (611-547ق.م):**هو ثالث الفلاسفة الطبيعيين في المدرسة الأيونية ،فسّر هو الآخر مبدأ نشأة الكون تفسيرا ماديا،ومن خصائصه أنه واحد ولا نهائي يتميز بسرعة الانتشار و بالامتداد و هو غير محدود و غير معين ، وهذا المبدأ هو الهواء[[14]](#footnote-15)\*.

إن هذا الفيلسوف سيقف موقفا وسطا بين "طاليس"و"أنكسماندريس"فمبدأه محدد ومعروف وهو من طبيعة مادية واحد غير متعدد وفي هذا وافق طاليس،وهو إضافة إلى ذلك يتصف ببعض خصائص الأبرون في أنه غير محدود ممتد في المكان إلى ما لا نهاية،وهو ما تشير إليه الشذرة التي يقول فيها:"إن الجوهر الأول واحد لانهائي ،ولكنه غير محدد الكيف ،إنه الهواء منه نشأت الأشياء الموجودة والتي كانت والتي سوف تكون،ومنه أيضا نشأت الآلهة وكل ما هو إلهي ،وتفرعت باقي الأشياء[[15]](#footnote-16).

أما كيف نشأت الأشياء وتكونت الأجسام الطبيعية من الهواء فإن أنكسماندر يفسر ذلك بعمليتن أساسيتن هما التكاثف(condensation) والتخلخل(raréfaction) ،اللَتان تمثلان حركة التغير الكامنة في الهواء ،فهو"يتخذ بحركته الصور المختلفة للتكاثف والتخلخل فيصبح مرئيا:ففي تمدده يصبح نارا وعند تلبده يصبح سحابا وعند تكاثفه الشديد يستحيل ماء،وإذا تكاثف الماء أصبح أرض وإذا زاد تكاثفه أصبح صخرا" [[16]](#footnote-17).

إن سبب اختيار "أنكسمانس"للهواء دون غيره من المبادئ المادية الأخرى الموجودة في الطبيعة، لاسيما و أنه مادة لا يمكن مشاهدتها أو لمسها،هو اعتبارا لظاهرة التنفس كونها أساس الحياة،و النفس بدورها هي هواء ،فهو يقول في إحدى شذرات"كما أن النفس لأنها هواء تمسكنا،فكذلك يفعل التنفس ،و الهواء يحيط بالعالم بأسره"[[17]](#footnote-18).

نفهم من هذه الشذرة أن هذا الفيلسوف قد اختار هذه المادة كونها تعبر عن مبدأ حياة الكائن الحي ،و قد كانت النفس عند اليونان (Psyche)[[18]](#footnote-19)\*[[19]](#footnote-20)\*تعني النفس و التنفس و كذلك الحياة،و لأنها هواء فلا شك أن صفاتها من صفاته،و كما يحيط الهواء بالعالم تحيط هي كذلك بالبدن وأنها غير مرئية و غير متناهية و منتشرة في كل أنحاء الوجود و بالتالي فهي مطلقة.

إن هذا المفهوم الأخير يقودنا إلى القول بأن الهواء هو نفس العالم " منه نشأت الأشياء الموجودة و التي كانت و التي سوف تكون ومنه أيضا نشأت الآلهة و كل ما هو إلهي و تفرعت باقي الأشياء[[20]](#footnote-21)، هذا ما يمكن أن نقوله عن أنكسمانس في مسألة النفس ، فهو كذلك مثل طاليس لم يفرد لها مبحثا خاصا في فلسفته.

**د- إستنتاج حول المدرسة الأيونية:**

تكمن أهمية هذه المدرسة في أنها مرحلة فاصلة نقلت اهتمام اليونانيين من الأسطورة والشعر أي من الميتولوجيا إلى التفكير العقلي النظري الذي حاول أن يفسر نشأة الكون تفسيرا نظريا عقليا إن لم نقل علميا قائما على الملاحظة في بعض جوانبه،لذلك اعتبرت محاولة طاليس الكسمولوجية بداية للفلسفة في اليونان

كما كان لهؤلاء الفلاسفة أتباع آخرين نسبوا إلى المدرسة المالطية،لكنهم لم يضيفوا أي شيء جديد،بل عملوا فقط على إحياء النزعة المادية والدفاع عنها أشهرهم:

"هيبون" وافق "طاليس"في قوله بأن المبدأ النهائي للكون هو الماء.

"إدايوس":قال بالهواء وهو بذلك كرر ما قاله "أنكسمنس".

"ديوجين الأبلوني":اشتهر في القرن الخامس قبل الميلاد وافق "أنكسمانس" في القول بالهواء وأن حركة التغير الموجودة في العالم تحدث بفعل مبدأ عاقل هو منبع النظام والتناسب الموجودين في الكون،وهذا المبدأ هو الهواء ،ومن ذلك قوله في الفقرة الخامسة من كتابه (العلم الطبيعي)،"إن الهواء هو:الذي يدبر جميع الأشياء ويهيمن عليها ،ولهذا يبدو لي أنه الإله وأنه يبلغ كل شيء وينظم كل شيء وهو حال في كل شيء وما من شيء من قسط منه،إلا أن قسط شيء ما يختلف عن قسط أي شيء آخر،بل بالعكس ثمة أشكال عدة في الهواء،أو العقل لأنه متعدد الأشكال"[[21]](#footnote-22).وقد عمد هذا الفيلسوف بهذه الأفكار الرد على أحد معاصريه وهو "أنكساغورس" الذي أنكر مبدأ التغير المطلق ،فالمادة التي تنشأ منها الموجودات أزلية موجودة دائما فيها تختلط كل أنواع المادة في كتلة،وأن نشأة العالم تحدث من خلال عمليتين أساسيتين هما التركيب والتفكيك،وستكون لنا عودة إلى هذا الفيلسوف في المحاضرات اللاحقة.

-------------------..........-------------------

**2/ المدرسة الإيلية:**

سميت بالمدرسة الإيلية نسبة إلى "إيليا"[[22]](#footnote-23)\*إحدى المستعمرات اليونانية الواقعة جنوب ايطاليا،ويرتبط كل من اسم "برمنيدس"و"زينون الإيلي" بهذه المدرسة كأبرز ممثليها إضافة إلى أكزينوفان،وفيما يلي سنحاول إيجاز الفلسفة الإيلية فيما يلي:

**أ- أكزينوفان:**ولد حوالي 576ق.م في قولون في أيونيا،كان شاعرا ومغنيا قضى حياته في التجوال ،ترك بغض القصائد بقيت منها شذرات فقط،يروى عنه أنه المؤسس الأول للمدرسة الإيلية،لكن"لا يوجد دليل حقيقي على أنه ذهب إالى ايليا،جنوبي إيطاليا،ومن غير المحتمل أن يكون أكثر من راع أو وصى على المدرسة"[[23]](#footnote-24).

كان له موقف من الأساطير والاعتقادات التي كان يؤمن بها اليونانيون يشبه إلى حد ما موقف "هراقليطس"،إذ حاول "أكزينوفان"من جانبه أن يغير بعض تصورات اليونانيين حول الآلهة التي تصفهم بالتعدد وسوء الأخلاق،ومن ذلك قوله:"من العبث افتراض أن الآلهة تنتقل من مكان إلى مكان على نحو ما تصورها الأساطير اليونانية،ومن العبث افتراض أن للآلهة بداية،ومما يحط من شأنهم أن نعزوا لهم قصصا مليئة بالخداع والاحتيال واللصوصية والزنا"[[24]](#footnote-25).

يعتبر كذلك صاحب فكرة مشهورة كان لها الدور الأكبر في بناء الفلسفة الإيلية،وهي قوله أن:"الكل هو الواحد"،فكانت فلسفته بذلك تدعوا إلى الوحدة،فاعتبر أن هذا الواحد هو الذي"يحرك الأشياء جميعا بقوة تفكيره"[[25]](#footnote-26)،ومن أشهر أقواله في ذلك ما يذكره عنه "أرسطو فيما يلي:"...ألا إنه لا يوجد غير إله واحد أرفع الموجودات السماوية والأرضية ليس مركب على هيئتنا ولا مفكرا مثل تفكيرنا ولا متحركا ولكنه ثابت كله بصر وكله فكر وكله سمع يحرك الكل بقوة عقله وبلا عناء "[[26]](#footnote-27).

أما في مجال الفيزيقا لا نجد لهذا الفيلسوف اهتما كبيرا بها إلا بعض الآراء التي ذكرت عنه وهي قليلة جدا لا نستطيع من خلالها أن نقول أن له نظرية في ذلك ،وأشهر أفكاره ما ورد في قوله:"الأجسام السماوية سحب مشتعلة،والأشياء جميعا كانت في أصلها من الطين ذلك لأن حفريات لكائنات بحرية قد وجدت في اليابس،ولسوف يجف البحر وحينئذ تنقلب العملية نهاية لبداية"

**ب-بارمنيدس:** لقد كان لفكرة"أكزينوفان "الكل هو الواحد"أثر كبير على برمنيدس والتي من خلالها أقام فلسفته كلها،حيث يؤكد أفلاطون ذلك على لسان سقراط مخاطبا برمنيدس بقوله"لأنك تقول في قصائدك (الكل يكون واحد)وتورد براهين ممتازة عن هذا وتقول أنه لا يكون متعددا"[[27]](#footnote-28).

أما عن تصوراته الميتافيزيقية فإنه سيحاول الإجابة على سؤال ما أصل الكون بأسلوب فلسفي يتجه نحو التجريد،وربما يمكن أن نفهم ذلك من خلال العودة إلى قصيدته المشهورة التي يدعي فيها أن ربات الشعر قد اختارته ولقنته الحقيقة،فجاءت قصيدته مقسمة إلى قسمين الأول سماه طريق الحق والثاني طريق الظن،وعلى أساس ذلك ينشأ عنده"التناقض بين الوجود واللاوجود والحقيقي المطلق هو الوجود واللاوجود هو غير الحقيقي،واللاوجود ليس شيئا على الإطلاق،وهو يوحد بين هذا اللاوجود وبين الصيرورة وبين عالم التغير والأشياء المتغيرة"[[28]](#footnote-29)،فيخلص بذلك إلى أن المبدأ النهائي للموجودات كلها هو "الوجود"الثابت الخالي من كل حركة وتغير وكثرة وغير الممتزج،فالأشياء لا يمكن أن تنشأ مما هو متغير في صيرورة دائمة،لأنه وهمي يأتينا عن طريق الحواس،لذلك يستحيل أن نرد أصل الموجودات إلى الحواس وأوهامها بل الحقيقة هي الوجود الذي لا نعرفه إلا عن طريق العقل.

لقد استنتج برمنيدس موقفه هذا من اعتباره أن اللاوجود هو عدم والعدم لا يمكن أن تصدر عنه الموجودات،فـ"الوجود أو الواحد موجود،وان الصيرورة والتغير وهم"[[29]](#footnote-30)،وإذا كان الوجود لا يصدر من العدم فإنه كذلك لا يصدر من اللاوجود،لأن هذا الأخير هو فقط موجود،وعليه يقول برمنيدس:"فلم يبقى لنا إلا طريق واحد نتحدث عليه وهو أن الوجود موجود،وفي هذا الطريق علامات كثيرة تدل على أن الوجود لا يكون ولا يفسد،لأنه كل مكتمل ووحيد التركيب لا يتحرك ولا نهاية له"[[30]](#footnote-31)،فكونه موجود وحسب يجعل منه مكتملا واحدا بعيدا عن الكثرة غير قابل للقسمة.

من هنا يظهر كذلك التمييز بين الحس وما ينتج عنه من وهم وظن،وبين العقل الذي يمثل الحقيقة،وقد كان لهذا أهمية بالغة لأنه"أدخل أعظم تفرقة بين الحس والعقل بين الحقيقة والظاهر"[[31]](#footnote-32)،وهذا التمييز قاد برمنيدس إلى الإقرار بفكرة أساسية حول طبيعة المعرفة،التي تكون إما عقلية وإما حسية.

-------------........................----------------

**3/المدرسة الذرية:**

**أ- ديمقريطس (DÉMOCRITE) :**

يفصل ديمقريطس بشكل صريح وواضع بين العقل و النفس ، إذ كان تصوره للنفس موافقا لنظريته الذرية ، إذ يرى أن "المبدأين الأصلين هما الذرات و المكان الخالي (الخلاء) ،وعنهما يحدث كل شيء في سلسلة من العوالم اللامتناهية... و الشمس و القمر كذلك من ذرات و كذلك النفس "[[32]](#footnote-33) ، التي هي في الحقيقة تآلف مجموعة من الذرات الكروية الشكل ، لأن هذا الشكل الأخير هو حسب "ديمقريطس" أسهل و أسرع نفاذا في الأشياء، ومن ثمة تكون النفس أساس الحركة في الحيوان ، و خاصيتها منح الحياة ،و هي في حالة من الحركة دائمة لا تعرف الاستقرار، يقول أرسطو في هذا أن "ديمقريطس" يعتقد أن :"ما كان من هذه الذرات كروي الشكل ، فهو نفس لأن الذرات التي من هذا الجنس أسهل نفاذا في جميع الأشياء ، و أقدر على تحريك غيرها مادامت هي نفسها متحركة"[[33]](#footnote-34).

إن النفس هي مبدأ الحياة و الحركة للأجسام الطبيعية الموجودة ،و يضيف"ديمقريطس" أنها مبدأ الإحساس الذي ينتج عن تصادم مجموعة من الذرات الصادرة من الشيء المحسوس في اتجاه الحاس مُشَكِلَةً بذلك صورة معينة، فتكون النفس مسؤولة عن إدراك هذا النوع من الإحساس بتفاعل ذراتها.

كما يشير إلى أن لها جزءاً عاقلا ،يتكون بدوره من مجموعة من الذرات تكون مستقرة في مكان معين من الجسم و غير منتشرة فيه كلية " و هذا المنحنى في تأويل الحس متصل بنظرته إلى ماهية النفس، فهي تتركب عنده من ذرات نارية منتشرة في أنحاء الجسم، وهي مبدأ الحياة و الحركة في الجسم ، فظلاّ عن مبدأ الإحساس، أما الجزء العاقل من النفس كما دعاه فيحل في قسم معين من الجسم هو الصدر"[[34]](#footnote-35)،و هذه الذرات التي يتكلم عنها ليست خالدة ،بل خاضعة للتحلل و بالتالي تكون النفس المكونة من هذه الذرات خاضعة لنفس مصيرها ،و لا شك أن ذلك يكون بالموت حيث" يؤكد ديمقريطس تلميذ ليوقيبوس العظيم فناء الروح ،حيث أن الذرات الدقيقة أو اللطيفة التي تتألف منها الروح تتبدل فيما يقول عند الموت"[[35]](#footnote-36).

هذا إضافة إلى أن هذا الفيلسوف سيجعل من النفس و العقل شيئا واحدا ،ذلك لأن الحقيقة في تصوره هي ما تؤكده الحواس ،و لقد عرفنا سابقا أن هذا الإدراك الحسي يكون نابعا من تصادم الذرات المنبعثة من الداخل و تلك التي تأتي من الخارج و التي تدخل الجسم عن طريق التنفس، و حينها تُدرك الأشياء أو تحصل المعرفة و يؤكد هذا الأمر أرسطو في قوله:" يوحد تماما -أي ديمقريطس - بين النفس و العقل ،لأن عنده أن الحق ما يبدو[للحواس] ،و لذلك فإنه يوافق هومروس في شعره الذي قال فيه: ألقي هكتور أرضا و العقل منه ذاهب"[[36]](#footnote-37).

**نقد للفلسفة ما قبل سقراط:**

يوجه أرسطو في مقالة الألفا الكبرى نقدا للفلاسفة السابقين عليه شمل جميع جوانب قصورهم في نظره،إذ يرى أن الفلاسفة الذين بحثوا عن العلة الفاعلة التي تكون مبدأ حركة الأشياء،لم يستطيعوا أن يميزوا بينها وبين العلة المادية بشكل واضح ،فهو يقول:"أن غرضهم كان غامضا وغير واضح،لكن على نحو ما يسلك الرجال غير المدربين أثناء القتال،لأنهم يدورون حول خصومهم وكثيرا ما يضربون ضربة قاضية،لكن لا يقاتلون على أسس ومبادئ علمية وبالمثل فان هؤلاء المفكرين لا يعرفون فيما يبدو ماذا يقولون،إذ من الواضح -كقاعدة-أنهم لا يستفيدون من عللهم"[[37]](#footnote-38) لكن سيختلف الأمر كثيرا في الفلسفة ما بعد سقراط .

1. \* مثل هذه المدرسة كل من طاليس حوالي(643-550ق.م) وتلميذه أنكسمندريس (611-547) و انكسمانس(524-558) و هم الفلاسفة الطبعيين الأوائل، ثم اتجهت الفلسفة إلى نوع من التجريد مع الفيثاغورسية و هيراقليطس و بومنيدس و أنكساغورس وديقريطس ،كما مثل في هذه المرحلة أيضا السفسطائيون الذين وجهوا التفكير إلى الإنسان ،وهناك فلاسفة آخرون كان لهم دور في بلورة هذه الفلسفة لكن ليس بمستوى الفلاسفة البارزين المذكورين سابقا. [↑](#footnote-ref-2)
2. - إمام عبد الفتاح إمام ،مدخل إلى الميتافيزيقا مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة،الطبعة الأولى 2005،ص ص91-92. [↑](#footnote-ref-3)
3. - أرسطو طاليس مقالة الألفا الصغرى[b993-]،ترجمة إمام عبد الفتاح امام ،ص287. [↑](#footnote-ref-4)
4. - أرسطو طاليس كتاب النفس ،ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، راجعه على اليونانية الأب جورج شحاته قنواني ، دار إحياء الكتب العربية ،الطبعة الأولى 1949.ص14. [↑](#footnote-ref-5)
5. -أرسطو طاليس مقالة الألفا الكبرى[b-983-30]، ص263. [↑](#footnote-ref-6)
6. - المصدر نفسه ،ص 14. [↑](#footnote-ref-7)
7. \* النزعة المادية الحية Hulociste أصل الكلمة من اليونانية وهي من Hulè وتعني الهيولي أو المادة،وzoè تعني الحياة و ترجع أصول هذه النزعة " إلى التفسير البدائي ذي النزعة الإحيائية لبعض الظواهر الطبيعية مثل التنفس والأحلام والظلال والموت إلى وقت ظهرت الأسطورة المتعلقة بنفس الإنسان من تلك المفاهيم التي ترى النفس صورة مصغرة أو ظلال للإنسان"أنظر المعجم العلمي للمعتقدات الدينية ،تأليف مجموعة من الأساتذة ، ترجمة و تحرير سعد الفيشاوي ، مراجعة عبد الرحمن شيخ الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى 2007،ص598 و ما يليها. [↑](#footnote-ref-8)
8. - أرسطو ،كتاب النفس ،ص 36. [↑](#footnote-ref-9)
9. جون بيار فرنان،أصول الفكر اليوناني ،ص107. [↑](#footnote-ref-10)
10. ولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 28. [↑](#footnote-ref-11)
11. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية،ص ص 15-16. [↑](#footnote-ref-12)
12. ولتر ستيس،تاريخ الفلسفة اليونانية،ص28. [↑](#footnote-ref-13)
13. أميرة حلمي مطر،الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها،ص 54. [↑](#footnote-ref-14)
14. \*الهواء هو أصل كل الموجودات في نظر هذا الفيلسوف و عنه تصدر كل الموجودات بما في ذلك الآلهة وذلك وفق عمليتي التخلخل و التكثيف ،إذ بالعملية الأولى يصبح الهواء أكثر حرارة و يصبح نار و بالتكثيف يميل إلى البرودة و يتصلب أو يتجمد . [↑](#footnote-ref-15)
15. أنكسماندر ،شذرة ،نقلا عن أميرة حلمي مطر،الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها،ص55. [↑](#footnote-ref-16)
16. جعفر آل ياسين،فلاسفة يونانيون-العصر الأول-،ص 32. [↑](#footnote-ref-17)
17. أنكسماندر ،شذرة رقم 01 نقلا عن فريديريك كوبلستون تاريخ الفلسفة المجلد الأول (اليونان و روما)، ص60. [↑](#footnote-ref-18)
18. \*\* يفصل تايلور في مدلول كلمة Psyche في أصلها اليوناني،وأنه كان يقصد بها في اللغة العادية"ما نسميه نحن (الحياة) أكثر مما نسميه(النفس).أما في الاصطلاح اليوناني فإن الكلمة تعني ما قد نسميه نحن في الانجليزية مبدأ الحياة "أنظر:الفرد إدوارد تايلور ،أرسطو ترجمة عزت قرني ،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ،الطبعة الأولى 1992ص92-93 . [↑](#footnote-ref-19)
19. [↑](#footnote-ref-20)
20. فريديريك كوبلسون، تاريخ الفلسفة المجلد الأول(اليونان و روما) ،ص60. [↑](#footnote-ref-21)
21. ماجد فخري،تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 21. [↑](#footnote-ref-22)
22. \* هي المدينة التي بناها الأيونين الهاربون من قوة الفرس على الشاطئ الغربي في إيطاليا الجنوبية حوالي سنة 540قبل الميلاد،أنظر يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية،ص35. [↑](#footnote-ref-23)
23. فريديريك كوبلسون،تاريخ الفلسفة، المجلد الأول،ص87. [↑](#footnote-ref-24)
24. ولتر ستيس،تاريخ الفلسفة اليونانية،ص39. [↑](#footnote-ref-25)
25. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفلسفية المختصرة ،ص311. [↑](#footnote-ref-26)
26. يوسف كرم،تاريخ الفلسفة اليونانية،ص36. [↑](#footnote-ref-27)
27. أفلاطون،محاورة برمنيدس،ترجمة شوقي داود تمراز،ص 15. [↑](#footnote-ref-28)
28. ولتر ستيس، الفلسفة اليونانية،ص40. [↑](#footnote-ref-29)
29. فريديريك كوبيلسون،تاريخ الفلسفة، المجلد الأول،ص88. [↑](#footnote-ref-30)
30. برمنيدس ،شذرة رقم (08)،ضمن كتاب فريديريك كوبيلسون،تاريخ الفلسفة، المجلد الأول،ص91. [↑](#footnote-ref-31)
31. المرجع السابق،ص88. [↑](#footnote-ref-32)
32. - ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية ،ص50. [↑](#footnote-ref-33)
33. - أرسطو، كتاب النفس،ص10 [↑](#footnote-ref-34)
34. - ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص51. [↑](#footnote-ref-35)
35. - جاك شورون، الموت في الفكر الغربي،ص45. [↑](#footnote-ref-36)
36. - أرسطو، كتاب النفس،ص11 [↑](#footnote-ref-37)
37. - أرسطو، مقالة الألفا الكبرى،b984-15، ص266.

    [↑](#footnote-ref-38)